

هذه العملية جرت في الوعي الغوي الأدبي للعصر وحكمت لإبداع أفراد محيّنين . فالمادة واللغة لم تكونا معطيتين في وحدة مطلقة (كما بالنسبة إلى مبدعي القصص الملحمي) بل كانتا على قطيعة وتفرّق ، وكان عليهما أن تبحث إحداهما عن الأخرى :

وهذا هو الذي يحدّد أصالة أسلوب رواية الفروسية . فلا وجود في هذه الرواية لنزرة من السداجة اللغوية والكلامية . وهي (إن وجدت فيها عموماً) يجب عزوها إلى الوحدة الفتوية الثابتة التي لم تتفكك بعد . وقد استطاعت هذه الوحدة التغلغل في كل عناصر المادة الغربية ، واستطاعت إعادة تشكيلها وتنبيرها بحيث يبدو لنا عالم هذه الروايات عالماً واحداً من الناحية الملحمية . إن رواية الفروسية الشعرية الكلاسيكية تقع في حقيقة الأمر على تخوم الملحمة والرواية ، لكنها تتخطى ، مع هذا ، هذه التخوم باتجاه الرواية بشكل واضح . فأعقق نماذج هذا الجنس وأكملها كـ « بارتسيفال » ولغرام هي روايات حقيقية بالفعل . فرواية بارتسيفال هذه لا يمكن بأي حال من الأحوال نسبتها إلى الخط الاسلوبي الأول الخالص للرواية . إن هذه الرواية هي أول رواية ألمانية ذات ثنائية صوتية عميقة وجوهرية استطاعت أن تقرن مطابقة مقاصدها بمراعاة دقيقة وحكيمة للمسافات بالنسبة إلى اللغة ، وبشيثية هذه اللغة المبدعة قليلاً عن شفّي المؤلف بابتسامة سخرية طفيفة (١) ونسبيتها الرقيقة .

(١) بارتسيفال أول رواية إشكالية ورواية صيرورة . هذا النوع ، بخلاف الرواية التعليمية التربوية الخالصة (البلاغية) الوحيدة الصوت أساساً (كيروبيديا ، « تيلمالك » ، إمبل) يتطلب كلمة ثنائية الصوت . والتنوع المتميز على هذا النوع في الجنس الروائي هو الرواية التربوية الفكاهية ذات الميل القوي إلى المعاكاة الساخرة